

عنوان البحث: الإصلاح والمصلحون في القرآن الكريم

إعداد : الدكتورة تقوى مناور عبدالرحيم وردات.

التخصص: دكتوراة في التفسير وعلوم القرآن

Taqwa.wardat@yahoo.com

الملخص

يمثل هذا البحث نموذجاً تطبيقياً لنظرية التفسير الموضوعي، بحيث تعرض لنا الإصلاح والمصلحون في القرآن الكريم، وذلك من خلال السياق القرآني المتمثل باستعراض الآيات القرآنية الدالة على الإصلاح، ثم بيان مجالات الإصلاح في القرآن الكريم، بحيث تقوم الدراسة بإظهار حرص القرآن الكريم على الإصلاح والإسهام في تصحيح واقع الأمة بما وصلت إليه من أشكال الفساد والطغيان المختلفة، الذي شمل الفرد والجماعة لتصبح بحال يجعلها تسير في طريق النجاة من فتن الدنيا والآخرة.

Abstract

This study represents an applied model of the objective interpretation theory We have reform and reformers in the Noble Qur'an, through the Qur'anic context represented By reviewing the Qur'anic verses indicating reform, then stating the areas of reform in the Qur'an Noble, so that the study shows the keenness of the Noble Qur'an to reform and contribute to Correcting the reality of the nation with its various forms of corruption and tyranny, which included: The individual and the group become in a condition that makes them walk the path of salvation from the trials of this world and the hereafter.

مقدمة:

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أما بعد: إنّ رسالة الإسلام جاءت رسالة إصلاحية لأحوال الناس جميعاً إلى يوم القيامة وهي رسالة الأنبياء جميعاً في محاربة الكفر والفساد والظلم والطغيان، وقائمة على توحيد الله عزّ وجل وإقامة العدل، قال تعالى: "قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب"^١.

المبحث الأول: الإصلاح:

المطلب الأول: الإصلاح لغة واصطلاحاً:

^١ سورة هود الآية ٨٨.

الإصلاح في اللغة: الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد، والإصلاح

نقيض الطلاح، والاستصلاح نقيض الاستفساد

اصطلاحاً :

هو سلوك طريق الهدى و استقامة الحال على ما تدعو إليه الحكمة، وأضاف الأصفهاني: "الصلح يختص بإزالة النفاق بين الناس، والإصلاح ضد الفساد، وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وإصلاح الله تعالى الإنسان تارة بخلقه إياه صالحاً، وتارة في إزالة ما

^١ انظر ابن فارس، أبو الحسن احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٥٩)، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٧م ص ٢٤٥؛ وانظر، الأزهرى، أبو منصور محمد بن احمد (٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، دار التراث العربي، بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠١١م، ج ٤، ص ١٤٢؛ وانظر، الجوهرى، اسماعيل بن محمد (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار القلم للملايين، بيروت- لبنان، ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، ج ١، ص ٣٨٤، وانظر، الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي الحنفي (٦٦٠هـ)، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، ط ج، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، تحقيق: محمود خاطر، ج ١، ص ٣٧٥. وانظر ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ج، ص، وانظر، الفيروز ابادي، مجد الدين بن يعقوب (١٨١٧هـ)، القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ج ١، ص ٢٩٣

فيه من فساد بعد وجوده، وتارة بالحكم له بالإصلاح^١، والصالح أيضاً الخالص من كل فساد، والصالح هو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة وقيل هو التغيير إلى استقامة الحال وتلافي خلل الشيء، والإصلاح هو استقامة الحال على ما توجبه الشريعة ويدعو إليه العقل مما فعله منفعة^٢.

المطلب الثاني: وجوه الإصلاح في القرآن الكريم:

هناك كلمات في القرآن الكريم تأتي على أكثر من وجه ولها عدة معان، وقد اهتم بعلم الوجوه والنظائر جلّ من العلماء، وألف فيه العديد من المؤلفات، ويراد بالوجه: هو اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان، والنظائر كالألفاظ المتواطئة، وقيل النظائر في اللفظ والوجوه في

^١ وانظر: الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن الفضل (٤٢٥هـ)، مفردات غريب القرآن، دار القلم (دمشق)، الدار الشامية (بيروت)، ط ١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ص ٤٨٩

^٢ انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (٣١٠هـ)، جامع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، تحقيق: محمد شاكر، ج ١، ص ٧٥. وانظر: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي الشافعي (٥١٠هـ).

المعاني^١، ووردت لفظتا الصلاح والإصلاح في القرآن الكريم على عدة أوجه ولها عدة معان وكل لفظ له مدلوله الخاص به، ولمصطلح الصلاح عدة وجوه كما وردت في كتب الوجوه والنظائر وبعض كتب التفسير^٢.

الوجه الأول: بمعنى الإيمان^٣، كقوله تعالى: "جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب" ، وصلحهم إيمانهم بالله وإتباعهم أمره وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم^٤.

^١ انظر: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم البيان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٣٩١هـ، ٩٢٧م، ج ١، ص ١٠٢.

^٢ نظر: البلخي، مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ)، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ط ١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٠م، ص ٩.

^٣ انظر: البلخي، الوجوه والنظائر، ص ٩٥، وانظر: هارون القارئ، الوجوه والنظائر، القرآن الكريم، ص ٢٨٦، وانظر: يحيى بن سلام، التصاريف، ص ١٧٥، وانظر: الدامغاني، الوجوه والنظائر، ص ٢٩٩، وانظر: ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص ٢٤٦، وانظر ابن العماد، كشف السرائر، ص ٣٠٨.

^٤ انظر: الطبري، جامع البيان، ج ١٦، ص ٤٢٣.

الوجه الثاني: حسن المنزلة أو جودة المنزلة^١: قال تعالى في سورة يوسف: "اقتلوا يوسف أو أطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قومًا صالحين" يعني تحسن منزلتكم وشأنكم عند أبيكم.

الوجه الثالث: بمعنى الرفق، ولين الجانب^٢ قال تعالى في سورة القصص: "قال إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانى حجج فإن أتممت عشرًا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى إن شاء الله من الصالحين" فى حسن الصحبة والوفاء^٣.

الوجه الرابع: تسوية الخلق^٤، قال تعالى: "هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتينا صالحاً لنكونن من الشاكرين" يعني سوي الخلق من صورة الإنسان.

^١ انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١١، ص ٧٦.

^٢ انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٤، ص ٢٠٧، وانظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٠، ص ١٠٢.

^٣ انظر: الطبري، جامع البيان، ج ١٩، ص ٢٠٧، وانظر: البغوي، معالم التنزيل، ج ١٣، ص ٥٣١، وانظر: البقاعي، نظم الدرر، ج ٥، ص ٤٧٧.

^٤ انظر: البلخي، الوجوه والنظائر، ص ٩٥، وانظر: هارون القاري، الوجوه والنظائر، ص ٢٨٦، وانظر: يحيى بن سلام، التصاريف، ص ١٧٥، وانظر: الدامغاني، الوجوه

الوجه الخامس: بمعنى الإحسان^١، قال تعالى في سورة هود: "قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقًا حسنًا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب".

المبحث الثاني: الإصلاح والمصلحون في القرآن الكريم:

المطلب الأول: الاستعمال القرآني لمصطلح الإصلاح والمصلحون:

تناول القرآن الكريم مصطلح الإصلاح، المشتق من الجذر الثلاثي (صلح) واشتقاقاته وتصاريفه، مرات كثيرة بلغت (١٨٠) مائة وثمانون مرة، وفي صيغ مختلفة بلغت (٣٠) ثلاثون صيغة^٢.

وورد لفظ الإصلاح في القرآن الكريم خمس مرات^١، وجاء على عدة معان أهمها: في الحث على إصلاح مال اليتيم والذي يكون إصلاحه بالتعليم والتأديب وإصلاح ماله بالتنمية والحفظ^٢.

والنظائر، ص ٢٩٩، وانظر: ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر،

ص ٢٤٦، وانظر: ابن العماد، كشف السرائر في معنى الوجوه والنظائر، ص ٣٠٨

^١ انظر: الطبري، جامع البيان، ج ١٣، ص ٣٠٦، وانظر: ابن كثير، ابو الفداء عماد الدين

اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ).

^٢ عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت،

مكتبة الغزالي، دمشق، مادة صلح، ص ٤١٠

قال تعالى: " في الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم" سورة البقرة الآية ٢٢٠ بمعنى إزالة الضرر والإصلاح بين المتباينين أو المتخاصمين بما أباح الله الإصلاح بينهما^٣.

قال تعالى: "لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما" بمعنى إرادة الإصلاح على لسان سيدنا شعيب لقومه بالموعظة والنصيحة وذلك بإزالة الفساد والخصومة بالتوحيد وترك إيذاء الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مدة استطاعته للإصلاح^٤.

^١ المرجع السابق، ص ٤١٠.

^٢ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١، ص ٨٩٠، وانظر: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يونس بن علي النحوي (ت ٧٤٥هـ)، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ج ٢، ص ١٧٠، وانظر: النيسابوري: نظام الدين بن حسين بن محمد، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، تحقيق: زكريا عمران، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ج ١، ص ٦٠٦، وانظر: الالوسي، روح المعاني، ج ١، ص ٣٦٥.

^٣ الطبري، جامع البيان، ج ٩، ٢٠١٠.

^٤ البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت ٦٩١هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشي، دار إحياء التراث العربي، بيروت -

الإصلاح بين الزوجين، وذلك أن الرجل إذا طلق امرأته كان أحق برجعها إذا كان مرادة بردها الإصلاح والخير^١ وحسن العشرة لا الإضرار " وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۖ وَلَا يَجِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۗ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" سورة البقرة الآية ٢٢٨.

النهي و التحذير من الإفساد في الأرض^٢ بعد إصلاحهما، أي لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعوة إلى طاعة غير الله سبحانه، كالشرك وإفساد النفوس والأموال والأنساب والأديان^٣ ويدخل تحته قليل الفساد وكثيرة ودقيقه وجليلة.

لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ج ٢، ص ١٤٥، وانظر: محمد رشيد رضا (ت ١٣٤٥هـ)، تفسير القرآن الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م، ج ٢، ص ١١٩، وانظر: وهبه الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، ط ١، ١٢٩٠، ج ٢، م ١٩٩١

^١ ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مصطفى السيد رشاد، مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م، ج ٢، ص ٣٣٢

^٢ الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، ج ٧، ص ٢٣٧

^٣ البغوي، معالم التنزيل، ج ٢، ص ١٩٩، وانظر: الطبري، جامع البيان، ج ١٢، ص ٤٨٧، وانظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج ٤، ص ٣١٣، وانظر: الالوسي، روح المعاني، ج ٨،

ص ١٤٠

قال تعالى: " وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ " سورة الأعراف الآية ٥٦.

وعند النظر في الآيات الكريمة التي تناولت مصطلح الإصلاح أنا في إصلاح مال أو النهي عن إفساد المال وفيه إشارة إلى الإصلاح الاقتصادي، وأمام الأمر بالإصلاح بين الناس وعد الإفساد في الأرض وفيه إشارة إلى الإصلاح الاجتماعي والسياسي.

المطلب الثاني: أنواع الإصلاح:

الإصلاح الاقتصادي في القرآن الكريم:

يعد الإصلاح الاقتصادي من أولى مطالب الشعوب، وذلك بسبب الفساد الاقتصادي الذي استشرى بالمجتمعات، وتعددت أنواعه بحيث أصبحت مدمره لاقتصاديات الدول وأكثر الدول تأثراً الدول الإسلامية، واعتنت الشريعة الإسلامية التي جاءت من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، بالإصلاح الاقتصادي وذلك من خلال تحريم أنواع الكسب الغير مشروع مثل: الربا، والرشوة، والغش، و السرقة، والغصب وغير ذلك.

وعملت الشريعة الإسلامية على إيجاد حلول للحصول على الكسب المشروع، وذلك من خلال الحث على العمل، والاعتماد على التكافل الاقتصادي في الإسلام وذلك في وجوب الزكاة والترغيب بالصدقات، وجعل من الكفارات الواجبة إطعام الفقراء أو عتق الرقيق، وغير ذلك من الحلول التي رفعت المستوى المعيشي لبعض الناس وأصلحت حالهم الاقتصادي والمعيشي.

يعد الربا من أول المعاملات الاقتصادية التي اهتم الإسلام بها وتدرج في تحريمها وذلك لأنها كانت مستشرية في الجاهلية، وتدرج القرآن الكريم في تحريم الربا فبدأ بالعهد المكي لفت انتباه المسلمين إلى كراهية الربا، وبغض الدين له وذلك في آية الربا في سورة الروم، ثم في العهد المدني حرمة تحريم جزئي ثم كلي وذلك في آية البقرة وآل عمران^١.

الإصلاح السياسي في القرآن الكريم:

يعد الإصلاح السياسي وجهاً بارزاً في كتاب الله تعالى تناولته الآيات الكريمة في ثنايا القرآن الكريم، لحديثها عن الشورى ونحوها ؛ إذ يهدف القرآن من ذلك إلى بناء الاستقرار السياسي، فهو لا يقل عن الأمن الغذائي، في وقت يشهد العالم بعامة وعالمنا الإسلامي بخاصة أنواعاً متعددة من الطغيان السياسي.

وكلمة السياسة لم ترد في القرآن الكريم لا مكيه ولا مدنيه ولا أي لفظه مشتقه منها وصفاً أو فعلاً، ولكن معناه ومضمونه ماثوث في القرآن الكريم وجاءت في القرآن الكريم ألفاظ تدل على مفهوم السياسة^٢، ومنها: قوله تعالى: " أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا " سورة النساء الآية ٥٤.

الإصلاح الاجتماعي في القرآن الكريم:

^١ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١٥، ص ٤٥٣

^٢ الكيالي، موسوعة السياسة، ج ٣، ص ٣٦٤

عندما جاء الإسلام حرص على إبقاء العادات الحسنة المتعارف عليها في الجاهلية مثل سدانة البيت وسقاية الحاج والثناء على الأخلاق الحميدة، فكما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إما جئت لأتمم مكارم الأخلاق"، وفي المقابل حرم الإسلام العادات السيئة ومنها تحريم الثأر وإقامة حكم القصاص (القاتل يقتل)، وحرّم أيضاً وأد البنات وهي عادات جاهلية كانت تفعلها بعض القبائل. وهنا نسلط الضوء على تحريم هذه العادة الجاهلية.

يقول الزمخشري - رحمه الله - في وصف طريقة الوأد: "كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحيها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية، وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سداسية فيقول لأمها: طيبيها وزينيها، حتى أذهب بها إلى إحماها، وقد حفر لها بئراً في الصحراء، فيبلغ بها البئر فيقول لها: انظري فيها، ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها، حتى تستوي البئر بالأرض، وقيل كانت الحامل إذا أقربت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة، فإذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة، وإن ولدت ابناً حبسته"^١.

يقول الرازي - رحمه الله - : "العرب كانوا يقتلون البنات لعجز البنات عن الكسب، وقدرة البنين عليه بسبب إقدامهم على النهب والغارة، وأيضاً كانوا يخافون أن فقرها ينفر كفأها عن الرغبة فيها فيحتاجون إلى إنكاحها من غير الأكفاء، وفي ذلك عار شديد فقال تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ} وهذا لفظ عام للذكور والإناث، والمعنى أن الموجب للرحمة والشفقة هو كونه ولدًا، وهذا

^١ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨ هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٧ هـ، ج ٤، ص ٧٠٨، وانظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط. ج ٨، ص ٤٢٥.

المعنى وصف مشترك بين الذكور وبين الإناث، وأما ما يخاف من الفقر من البنات فقد يخاف مثله في الذكور في حال الصغر، وقد يخاف أيضاً في العاجزين من البنين".^١

ولا تندوا بناتكم خوف العيلة والفقر فإن الله رازقكم وإياهم لأن الله تعالى إذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد القيام بحق الولد وتربيته والاعتكال في أمر الرزق على الله عز وجل.^٢

إصلاح الأسرة:

إن الأسرة هي الأساس في بناء مجتمع صالح متماسك، ولأن الأسرة هي نواة المجتمع فإذا صلحت كان ذلك سبباً في صلاح المجتمع، وإذا فسدت كان ذلك سبباً في فساد المجتمع، ومن هنا حرص الإسلام على بناء أسرة سالحة من بداية تأسيس هذه الأسرة بالحث على اختيار الأزواج الصالحين واختيار الزوجات الصالحات، فالزوجة الصالحة والزوج الصالح كل منهما يعين الآخر على أمور الدنيا، وأمر الآخرة في طاعة الله تعالى.

المطلب الثالث: المصلحون في القرآن الكريم:

المصلحون هم أداة النجاة من فتن الدنيا والآخرة وإذ خلا أي مجتمع من المصلحين، لفسد المجتمع ولنزل بهم عقاب الله تعالى، والمصلح صالح في نفسه ولكن يمتد هذا الصلاح ليعم غيره فهو مصلح لغيره، يأخذ من قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجباً عليه فهو يسعى

^١ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١، ص ٢٨٠٠

^٢ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج ٢، ص ١٩٩

لإصلاح بيته وأهله ومجتمعه، وأول المصلحون كما جاء في القرآن الكريم هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فكلهم جاءوا برسالة الإصلاح، وثم المؤمنين، الذين اقتدوا بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وساروا على نهج الإصلاح.

وللمصلح الذي يتبنى على نفسه إصلاح المجتمع صفات عديدة يجب أن يتحلّى بها، فلا يكتفي بالعمل الصالح لنفسه، وإنما يتوجه إلى إصلاح المجتمع بالكلمة والعمل، ويتطلب منه أن يكون في موضع القدوة الصالحة ومن السابقين إلى الخيرات والباقيات الصالحات، قال تعالى: " وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا " سورة مريم الآية ٧٦.

ويزيد الله من سلك قصد المحجة، واهتدى لسبيل الرشد، فأمن بربه، وصدق بآياته، فعمل بما أمره به، وانتهى عما نهاه عنه هدى بما يتجدد له من الإيمان بالفرائض التي يفرضها عليه، ويقرّ بلزوم فرضها إياه، ويعمل بها، فذلك زيادة من الله في اهتدائه بآياته هدى على هداه^١.

الإصلاح رسالة جميع الأنبياء:

كل الأنبياء جاء برسالة وإن اختلفت الشرائع وهي توحيد الله عزوجل وكل نبي من الأنبياء هو مصلح جاء برسالة الإصلاح، وإن تعددت مجالات الإصلاح بحسب فساد كل قوم من أقوامهم، أو بما كان يشاع عندهم.

فسيدنا إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء عاش في بيئة تعددت فيها الآلهة وذلك مما جاء

^١ الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج١٨، ص٢٤٤

عند ابن كثير: "أن منهم من كان يعبد الأصنام ومنهم من يعبد الكواكب"، ومنهم من ادعى الألوهية كما جاء في مخاطبة النمرود^١.

ولكن الأنبياء بدأوا مسيرة الإصلاح بإصلاح العقيدة والدعوة إلى توحيد الله تعالى ثم بإصلاح عند أقوالهم من المفاصد، فسيدنا لوط عليه السلام يدعو إلى الإصلاح الأخلاقي والعودة إلى الفطرة السليمة وذلك عندما كان قومه يأتون الرجال دون النساء، وهي ما تسمى حالياً بالشذوذ الجنسي فما ذكر عن سيد قطب وقصة لوط تكشف عن هذا اللون من ألوان انحراف الفطرة البشرية.

وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جاء بأعظم رسالة إصلاح شامل بالتاريخ فجاءت الشريعة الإسلامية بإصلاح العقيدة أولاً وإخراج الناس من الظلمات إلى النور وذلك بترك عبادة الأصنام وعبادة الله وحده لا شريك له، فاستمرت دعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة ثلاثة عشر سنة عاماً في الدعوة إلى تصحيح العقيدة وإزالة ما علق في قلوبهم من آثار الوثنية وعبادة الأصنام وتدرج في ذلك لإخراج شوائب الشرك وآثار الجاهلية من نفوسهم، ولذلك آيات العهد المكي امتازت بتركيزها على أمور العقيدة وتوحيد الله عزوجل.

المطلب الرابع: منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الإصلاح:

١- التدرج والتنويع في أساليب الحجة ووسائل الإقناع، فسيدنا إبراهيم عليه السلام اتبع أسلوب المخاطبة مع النمرود وإثبات الحجة.

^١ الطبري، م ٤، ص ٥٧٣

٢- اللين في الدعوة ويظهر لنا جلياً في دعوة سيدان موسى عليه السلام لفرعون.

٣- الحوار ومن حوار سيدان إبراهيم عليه السلام وسيدنا شعيب عليه السلام وهو خطيب

الأنبياء، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع قريش.

٤- الإخلاص.

٥- الصبر والحكمة.

الخاتمة:

خلق الله تعالى الأرض، وجعلها مهياً ليعيش الناس على ظهرها آمنين مطمئنين، ووفر لهم في سبيل ذلك أسباب الحياة المادية التي تكفل لهم قضاء حوائجهم، ونيل مطالبهم، يقول رب العزة: **وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (الأعراف: ١٠)**. ويقول أيضاً: **{وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا وَإِنَّا لَنَاقِلُونَ فِيهَا رِوَاسِيَ وَأَنْبِتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ، وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ. وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ}** سورة الحجر الآية ١٩.

ولما كانت حاجة البشر لا تقتصر على الحاجات المادية وحدها، فإن الله سبحانه وتعالى - وهو الأعم بخلقه وبما يصلحهم - قد وفر لعباده من المناهج ما يحقق لهم صلاح الدنيا والآخرة، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل لهم الكتب، ووعدهم - إن هم اتبعوا منهجه - بصلاح الدنيا والآخرة.

يقول رب العزة: **{فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى}** سورة طه الآية ١٢ قال الإمام ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: "أي لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة".

وقد أمرنا ربنا تبارك وتعالى وهو القائل عن نفسه {وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ..} سورة البقرة الآية ٢٢٠, أن نحافظ على هذه الأرض ببقاء الصلاح فيها, وأن نمنع الفساد عنها, وتكرر ذلك في القرآن أكثر من مرة.

قال تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} سورة الأعراف الآية ٨٥, وقال: {وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} سورة هود الآية ٨٥ وغير ذلك من الآيات, وأبان عن أن الفساد في الأرض إنما يكون بعصيان الله فيها, والسير وراء الأهواء.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- ابن فارس، أبو الحسن احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٥٩ هـ)، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٧م .
- الأزهرى، أبو منصور محمد بن احمد (٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، دار التراث العربي، بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠١١م.
- الجوهري، اسماعيل بن محمد (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار القلم للملايين، بيروت- لبنان، ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي الحنفي (٦٦٠هـ)، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، ط ج، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، تحقيق: محمود خاطر.

- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ١٩٥٠م.
- الفيروز ابادي، مجد الدين بن يعقوب (١٨١٧هـ)، القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ١٩٩١م.
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن الفضل (٤٢٥هـ)، مفردات غريب القرآن، دار القلم (دمشق)، الدار الشامية (بيروت)، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (٣١٠هـ)، جامع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم البيان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٣٩١هـ، ١٩٢٧م.
- البلخي، مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ)، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ط ١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٠م.
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يونس بن علي النحوي (ت ٧٤٥هـ)، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- النيسابوري: نظام الدين بن حسين بن محمد، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، تحقيق: زكريا عمران، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت ٦٩١هـ)،
أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشي، دار إحياء التراث
العربي، بيروت-لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- محمد رشيد رضا (ت ١٣٤٥هـ)، تفسير القرآن الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
القاهرة، ١٩٩٠م.
- وهبه الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، ١٩٩١م.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم،
تحقيق: مصطفى السيد رشاد، مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨ هـ)، الكشاف عن حقائق
غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ،
١٤٠٧هـ .